بذل المسرة

على

متن الأصول الستة

كتبه:

أبو عبد السلام حسن بن قاسم الحسني

- ونفقه الله -

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ

جميع الحقوق محفوظة

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٤
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت العامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضرموت سيدون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم . ومدرسة شحوح للبنين
+٩٦٧٧٨٣٢٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com

ترجمة مختصرة للمؤلف رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

ولد رحمه الله: في بلدة العيينة [1]، عام ١١١٥هـ.

وتوفي رحمه الله: في بلدة الدرعية، عام ١٢٠٦هـ.

ودراسته رحمه الله: فقد درس على أبيه، وعلى أعمامه منذ صغره، وحفظ القرآن الكريم، قبل أن يبلغ السنة الـ١٠.

ورحلته رحمه الله: رحل إلى الحج، وبعد الحج ذهب إلى المدينة، والتقى بعلماء المدينة بالمسجد النبوي:

١. **ومنهم**: الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف. (وهذا من أبرزهم هو وولده).
٢. **ومنهم ولده**: الشيخ إبراهيم بن عبد الله. وهو مؤلف (العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض).
٣. **ومنهم**: الشيخ محمد حياة السندي. (وقد أخذ عنه الإجازات في مروياته في علم الحديث).

ثم رجع إلى بلده، ثم سافر إلى الأحساء، وأخذ عن جمع من العلماء:

١. **منهم**: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي.

(١) في شمال الرياض.

ثم ذهب إلى العراق، وتحديداً، في البصرة، ومن أولئك المشايخ الذين أخذ عنهم هناك: الشيخ محمد المجموعي.

وكان في هذه الفترة، ينسخ ما يجده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، بيده.

ثم أراد أن يرحل إلى الشام، ولكن لقلة ذات اليد، ما استطاع، ففي ذهابه تعب كثيراً، حتى كاد أن يهلك.

ثم رجع إلى البصرة، ثم إلى نجد، وذلك بعد أن أخذ ما أخذ من العلوم، ثم بدأ بالدعوة إلى الله ﷻ، والإصلاح.

وكان علماء بلده لديهم شيء في الفقه، ولكنهم في العقيدة على مذهب الأشاعرة.

وكانت الحياة السياسية، عبارة عن دويلات، وولايات صغيرة، وكل والي على منطقة، وكان ينتشر فيهم السلب.

فلما رأى الشيخ رحمه الله تلكم المنكرات من الشركيات، وعبادة القبور، والطواف حول الأضرحة، والأشجار، ودعائها من دون الله، قام بالجهر بدعوة التوحيد.

واتصل بأمير العيينة، وعرض عليه الدعوة، فقبل الأمير ووعده بالمناصرة، وكان يوجد قبة على قبر أحد الصحابة وهو: زيد بن الخطاب رضي الله عنه، فأرشد الشيخ رحمه الله الأمير إلى ضرورة هدمها، وبالفعل هدمها.

وجاءت امرأة، تعترف بالزنا، فردها الأمير، ثم عاودت الاعتراف المرة تلو المرة، - حالها كحال المرأة الغامدية -، ثم بعد ذلك أشار الشيخ رحمه الله على الأمير أن يقيم عليها الحد، فأقام عليها الحد.

فلما بلغ هذا الأمر أمير الأحساء، أرسل رسالة، إلى أمير العيينة، وقال له: اخرج هذا المطوع، وإلا سنقطع عنك الإمداد، والمساعدة، فأخبر الأمير الشيخ محمد رحمه الله بهذا الأمر، فهون عليه، وقال له: لا تهتم، والله تعالى ناصر دينه، والأمور تحتاج صبر، لكن الأمير أصر على أن يخرج الشيخ، فخرج الشيخ رحمه الله منها إلى الدرعية.

وكان له التلاميذ، حين باشر الدعوة في العيينة (مسقط رأسه)، منها ومن الدرعية ومنهم: الشيخ أحمد بن سويلم.

فلما خرج الشيخ محمد رحمه الله إلى الدرعية، ذهب إلى تلميذه، وكان الشيخ في تلك الفترة يحذر منه، فخاف التلميذ على نفسه، وعلى الشيخ، فبينما هو كذلك، إذ علمت زوجة أمير الدرعية (الأمير محمد بن سعود الكبير رحمه الله)، بقدوم الشيخ

رحمه الله، إلى بلادهم – وكانت صالحة –، فقالت لزوجها: هذا خير ساقه الله إليك، فاقبل هذه الدعوة وناصرها، فشرح الله صدر الأمير محمد بن سعود رحمه الله إلى ذلك، فأراد أن يدعو الشيخ إليه، فقالت له امرأته الصالحة، لا بل أنت اذهب إليه، فذهب إلى بيت الشيخ أحمد، والتقى بالشيخ محمد، وقال له: ما عندك، فعرض عليه الشيخ محمد رحمه الله دعوة التوحيد، وقال له: دعوتنا إلى الكتاب والسنة، وإلى نبذ الشرك، وإلى نبذ البدع والخرافات، فشرح الله صدر الأمير إلى ما قاله له الشيخ محمد ، فقال الأمير محمد للشيخ محمد: أبشر بالنصر، والتأييد، وقال له الشيخ محمد: وأنت أبشر بالعز، والتمكين.

فقام الشيخ رحمه الله بالتدريس، والتعليم، وكان يكتب إلى أمراء البلدان المجاورة – بعد أن قويت الدعوة –، فمن انصاع انصاع، ومن أبى جوهد في سبيل الله، وامتدت الدرعية، وسيطرت على كثير من القرى المجاورة، وعلى نجد كاملة، وعلى الرياض – وكانت الحرب فيها ضروس –.

۞ **فقامت دولة التوحيد بهاذين الرجلين:**

١. الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي رحمه الله باللسان والبيان.

٢. الأمير محمد بن سعود الكبير رحمه الله بالسيف والسنان.

فالدعوة تحتاج إلى مناصر، بعد الله ﷻ.

۞ **فبالنظر إلى دعوة الإمامين:**

١. الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

٢. شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

فإن دعوتهما لم تلقيا مؤازراً، ومناصراً من الحكام، ولذلك لم يحصل في زمانهما من القوة، وانتشار الكتب، ما حصل لدعوة الشيخ محمد رحمه الله، وإلى الآن والتوحيد قائم بفضل الله ﷻ في تلكم الديار.

ودعوة التوحيد هي دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فإذا أراد الإنسان النصر، والتمكين، فعليه بدعوة التوحيد، سواء علماء، أو أمراء.

كانت البلاد اليمنية تعج بالخرافات، والبدع والضلالات، فلما انتشرت دعوة السنة، فما من قرية، إلا وفيها من أهل السنة من يدعو إلى التوحيد، وإلى السنة، حصل خير كثير، ولعل الله يدفع عنا الشرور ببركة هذه الدعوة المباركة، دعوة أهل السنة والجماعة – الذي جددها في هذا القطر الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله –.

على الرغم من كون الشعب اليمني مسلح من أقصاه إلى أقصاه، ومع ذلك فالشعب متماسك في الغالب.

نظرة سريعة حول الدولة العثمانية التي حاربت الدولة السعودية الأولى:

الدولة العثمانية وإن كانت دولة فتوحات، لكنها فتوحات دنيوية، ولم تكن لها اهتمام بالعقيدة، بل كانت عقيدتها صوفية خرافية – خصوصاً في آخرها –، ولهم جهود في حرب الرافضة، لكن في النهاية هم حول الدنيا، وقد عمرت طويلاً أكثر من ستمائة سنة، ولكن لم تكن لهم عقيدة صحيحة بحيث إنهم ينشرونها، ولم يكن لهم علماء نصحة ينصحون الخلفاء آن ذاك، ولذلك أتى بالفشل، فزالت واضمحلت.

فهذا محمد علي باشا حاكم مصر، أوعزت إليه الدولة العثمانية على أن يقوم ضد هذه الدعوة، وبالفعل حاربها مرات وكرات، وفي كل مرة يتصدى له رجال التوحيد، ولكن في النهاية استطاع أن يقتحم الدرعية، لأنهم كانوا إذ ذاك قوة، وتصدوا لهذه الدعوة خشية أن يزال ملكهم، وقد زال ملكها في نهاية الأمر.

[تنبيه] ما يقال إن الدولة السعودية تعتبر خارجة عن الدولة العثمانية، هذا غير صحيح، فإن نجد لم تكن تحت حكم العثمانين، ولو كانت فإن الدعوة إلى التوحيد ومنابذة الشرك واجبة، والدولة العثمانية كانت تحارب التوحيد، وهي التي أعدمت الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، صاحب كتاب «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» ولم يكمله، فأعدموه

بطريقة بشعة جداً وضعوه في المدفع ثم أطلقوه منه فتمزق جسده أشلاء، وكل ذلك لأنه أنكر المنكر وكان رجل توحيد رحمه الله.

۞ وله للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتب، ومن ضمنها:

هذه الرسالة وهي **«ستة أصول عظيمة»** أو **«الأصول الستة»** وهي التي بإذن الله عز وجل سنمر عليها بالشرح، وننصح الطلاب بحفظها، مع فهم شرحها.

متن الرسالة وشرحها

❁ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بينها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

الشـــــرح

عادة المصنفين غالباً، أن يبدؤوا كتبهم بالبسملة، وبعضهم يضيف الحمدلة، وبعضهم لا يضيفها، وبعضهم لا يذكر البسملة في كتابه، ولكنه يذكرها بلسانه.

۞ **أهل العلم يتكلمون على البسملة من نواح عدة:**

* **أولاً**: من ناحية سبب ابتداء المصنفين مؤلفاتهم بها.

أ) فبعض أهل العلم يرى أن ذلك اقتداء بكتاب الله، حيث أن البسملة يؤتى بها للفصل بين السورة والأخرى وهذا على قول ابن عباس رضي الله عنهما كما عند أبي داود قوله: «أنزلت البسملة للفصل بين السور». [١]

ب) وبعضهم يرى أن ذلك اقتداء بسنة رسوله ﷺ في مراسلاته.

ج) وبعض أهل العلم يأخذ بحديث في فضل البسملة وهو قوله – عليه الصلاة والسلام –: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ**» [٢] وفي رواية: «**فَهُوَ أَبْتَرُ**» [٣] وفي رواية: «**فَهُوَ أَجْذَمُ**». [٤]

وهذا الحديث ذكر الشيخ الألباني – رحمه الله – أنه ضعيف جدا. وفيه رجل يسمى: أحمد بن محمد بن عمران بن الجندي. المعروف بابن الجندي.

قال فيه الخطيب البغدادي – رحمه الله –: "كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه". اهـ [٥] لأن مذهبه كان التشيع.

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٨٨) بنحوه.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع "لأخلاق الراوي" (١٢١٠).

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" (٨٧١٢) وغيره.

(٤) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤٨٤٠) وغيره.

(٥) انظر "تاريخ بغداد" (٢٧٨٠).

* **ثانياً**: ما يتعلق بإعرابها:

ف (**الباء**) حرف جر، و(**اسم**) اسم مجرور بحرف الجر وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلق بمحذوف مقدم أو مؤخر اسم أو فعل مناسب للحال.

والصحيح أن يقدر فعلاً مؤخراً فيقال (بسم الله أبدأ)، أو (بسم الله أقرأ)، أو (بسم الله أشرب)، إلى آخره.

(**الرحمن**): نعت للفظ الجلالة. (**الرحيم**) نعت ثان.

* **ثالثاً**: فيما يتعلق بالمعنى:

(**الباء**) قيل: للاستعانة، وقيل: للإلصاق، وهنا تستخدم للاستعانة.

و(**الاسم**): هو ما دل على مسمى ولم يقترن بزمن.

حصل الخلاف في أصل اشتقاق الاسم، هل هو مشتق من السمو الذي هو العلو، أو مشتق من الوسم الذي هو العلامة.

فاختلف العلماء الكوفيون البصريون – من علماء اللغة والنحو –.

فذهب البصريون: أن الاسم مشتق من السمو الذي هو العلو. ورجح ذلك ابن الأنباري وابن معطي.

وذهب الكوفيون: أن الاسم مشتق من الوسم الذي هو العلامة.

وكانت العرب تقول: وسمت إبلي. من باب أنه جعل لها علامة يعرف بها.

وابن الأنباري – رحمه الله- الذي توفي في القرن الرابع (٣٦٨هـ) له كتاب في ذلك في الفصل بين مذهب الكوفيين ومذهب البصريين، وإن كان في الحقيقة هو يميل إلى مذهب البصريين في كثير من المسائل ألف كتاباً سماه «الإنصاف في ذكر مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين».

ومن هذه المسائل التي جرى فيها الخلاف بين الكوفيين والبصريين: اشتقاق الاسم وذكر هذه المسألة ورجح مذهب البصريين.

قال ابن معطي:

اشتق الاسم من سما البصري * واشتقه من وسم الكوفي**

فالمذهب المقـــدم الجـــلي * دليـــله الاســـماء والسمـي**

لفظ الجلالة (اللَّهُ): اختلف العلماء هل هو جامد أو مشتق.

والذي رجحه ابن القيم – رحمه الله –: أنه مشتق، مأخوذ من أصل وهو (الإله)، وقيل إنه مأخوذ من (أله) يأله إلهة وتألهاً وألوهية، أي: لجأ إليه لأنه سبحانه المفزع الذي يلجأ إليه من كل أمر واللجوء عبادة.

قال شيخنا الجامي رحمه الله كما في «شرحه للواسطية»: "والصحيح أنه مشتق، من (أله) يأله ألوهة وألاهة والألوهية، بمعنى عبد عبادة، فهو مالوه أي معبود". انتهى بتصرف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الإله ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم ونحو ذلك". اهـ [(١)]

وهذا القول مؤيد بقول ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: «الله ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ» ذكره ابن جرير الطبري في «تفسيره». [(٢)]

(الرحمن): أي ذو الصفة والرحمة الواسعة، وهذه رحمة عامة للخلق جميعاً، ولا يصح أن يطلق على الإنسان الرحمن.

---

(١) انظر "مجموع الفتاوى" (١١/ ٥٢٤).

(٢) انظر "تفسير الطبري" (١٤١).

(**الرحيم**): أي ذو الرحمة الواصلة، وهذه رحمة خاصة بالمؤمنين، يصح أن يطلق على الإنسان بها، قال ﷻ: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وهما اسمان يؤخذ منهما صفتا الرحمة، اللائقة بالله – ﷻ –.

قد يقول قائل: هل الله يرحم الكفار؟!

الجواب: نعم، بما يسديه إليهم من النعم، من الصحة، والرزق، وغيرها من النعم الدنيوية، **لكنهم حرموا من النعم الدينية**.

❁ قال رحمه الله: (**من أعجب العجاب ... أقل القليل**):

في هذه الكلمات الموجزات بيان لأهمية هذه الأصول الستة، والتي هي لعامة الناس، ولكن ومع الأسف فإن كثيراً من متحذلقي علم الكلام وقع في شيء من الضلال في مخالفة بعض هذه الأصول، وهكذا أيضاً من ينظر إليه بمنظار العلم، ويشار إليه بالعلم، ويتزيا بزيه وزي أهله، ولكنه يجهل هذه الأصول الستة.

الأصل: هو ما يبنى عليه الشيء، كالأساس للبنيان فهو أصل.

معنى كونها أصلاً: أن المخالف فيها يضلل، وقد يقع في الكفر – والعياذ بالله –.

هذه الأصول دليلها الكتاب والسنة.، نذكرها على وجه الإجمال ثم مفصلة مع الشرح بما يسره الله ﷻ:

- (الأصل الأول): **الإخلاص وبيان ضده وهو الشرك.**
- (الأصل الثاني): **الاجتماع في الدين والنهي عن التفرق فيه.**
- (الأصل الثالث): **السمع والطاعة لولاة الأمر.**
- (الأصل الرابع): **بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، ومن تشبه بهم وليس منهم.**
- (الأصل الخامس): **بيان من هم أولياء الله.**
- (الأصل السادس): **رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة.**

الشـــرح

و(**التعجب**) معناه: الدهشة والانبهار من غفلة الناس خصوصاً من ذكر وصفهم بـ (**أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل**) مع وضوحها لعموم الناس، يدركها الذكي والبليد، ويدركها العالم والجاهل، إذا كان قد توافر فيه عقل الإدراك؛ ولذلك عبر بلفظ (**للعوام**) للتنبيه على غيرهم؛ فالمعنى إذا كان العامي واضح له هذه الأصول الستة فغيره من باب أولى أن تكون واضحة له وضوح الشمس في رائعة

النهار ولكن العمى في الحقيقة هي عمى البصيرة قال تعالى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

❁ وقوله رحمه الله (**الغلاب**) ليس من أسمائه تعالى الغلاب لكن هو من باب الصفة وباب الصفات، كما هو معلوم، أوسع من باب الأسماء وهو من معاني اسم (العزيز).

❁ وقوله رحمه الله (**وعقلاء بني آدم إلاّ أقلّ القليل**):

هي حال بني آدم، فإن أكثرهم ضالون، بسبب ابتعادهم عن علم الكتاب والسنة واشتغلوا بغيره مما قد يكون نافعاً لهم في الدنيا أو يكون ضاراً له من علم الفلسفة والكلام فحال أكثرهم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، ولذلك لا يجوز الاستدلال على صحة القول أو المذهب أو الطريقة بكثرة السالكين لها، وإن هذا أمر مهم؛ لأن الله عز وجل لم يذكر الكثرة على وجه المدح، بل قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيْلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُوْرُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨]، فالكثرة لا تدل على صحة الطريق، ولا على سلامة المنهج، بل الذي يدل على صحة الطريق وسلامة المنهج هو التزام الكتاب والسنة، فهما الحاكمان على

كل قول ورأي وعمل، فما وافق الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فهو الصواب، وما خالفه فهو الخطأ المردود، وإن كان عليه أكثر الناس.

الأصل الأول

❁ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله:

إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم.

الشـــــرح

❁ قال رحمه الله: (**إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له**):

فهذا الأصل عظيم (**إخلاص الدين لله** ﷻ) أصل الدين كله، وخلاصة دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كما قال الله ﷻ ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

قال ﷻ ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال الله ﷻ ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣] وقال ﷻ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

وهو الأصل الذي ينبني عليه غيره.

و(**الإخلاص**): هو أن يبتغي العبد بعمله وجه الله ﷻ لا يكون لمخلوق فيه حظ لا لملك مقرب، ولا لنبيٍ مرسل، ولا لولي صالح.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. (١)

وجاء في «المسند» من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**». (٢)

(١) برقم (٢٩٨٥).

(٢) برقم (٢٣٦٣٠).

(**الرياء**): هو أن يرائي بعمله غير الله ﷻ.

ويقول النبي ﷺ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**» رواه مسلم من حديث جابر.[(١)]

أول من تسعر بهم النار يوم القيامة هم الذين تركوا الإخلاص في العمل، أشركوا في عملهم غير الله، فأعمالهم أعمال جليلة لكنها لم تنفعهم بسبب أنهم أشركوا فيها غير الله ﷻ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فَقَالَ لَهُ: نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جريء. فَقَدْ قِيلَ.**

ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ

(١) برقم (٩٣).

وَسَّعَ الله عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِي بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» رواه مسلم. (١)

۞ **العمل الأول**: الجهاد منزلته عظيمة جداً في الكتاب والسنة، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَعَدَّهَا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ». (٢)

ناهيك عن الأجور الكثيرة المتكاثرة في عظم أجر الجهاد، والتي لا يتسع المقام لذكرها.

۞ **العمل الثاني**: عظيم جداً، كيف لا؟ وقد وردت الأدلة من الكتاب والسنة في فضيلة العلماء وفضيلة معلم الناس الخير، فقد قرن الله ﷻ شهادته بشهادة العلماء على أعظم مشهود وهو (التوحيد) فقال ﷻ ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وحديث عثمان

(١) برقم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رضي الله عنه في «البخاري»: «خَيْرُكُمْ – وفي لفظ: إِنَّ أَفْضَلَكُمْ – مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». (١)

فصار عمله هذا وبالاً عليه بعد أن كان رفعة له في الدنيا والآخرة، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ». (٢)

۞ **العمل الثالث**: المتصدق في وجوه الخير وأبواب الخير، كم وكم من الأجور في فضيلة الصدقة والمتصدقين، قال الله ﷻ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وقد فهم السف الصالح هذا الأمر فهماً جدا، فهذا سفيان الثوري رحمه الله – وهو الإمام وأمير المؤمنين في الحديث – ويقول قوله في القرن الثاني، ومع هذا كله يقول: «ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي». (٣)

وكان بعض السلف إذا مشى أمسك بيديه حتى لا تتبختر يده.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧) و(٥٠٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٧/ ٦٢) والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (٦٩٢).

وكان بعض السلف يبكي ويقول: «ما أشد الزكام».

ورواية ابن عباس رضي الله عنهما في «الصحيح» في قصة الكوكب الذي انقض وفيه قال حصين بن عبد الرحمن: قال سعيد بن جبير رحمه الله: «أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: «أَنَا»، ثُمَّ قُلْتُ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ» الحديث. (١) وذلك حتى لا يظن أنه كان يصلي.

فانظر إلى شدة خوفهم من الرياء فكيف بي وبك، فنحن بحاجة إلى أن نجاهد أنفسنا.

❁ قال رحمه الله: **(وبيان ضده الذي هو الشرك بالله)**.

(الشرك): هو عبادة غير الله جل جلاله مع الله.

* **وهذا هو الشرك الأكبر ومن أمثلته:** مثل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله بأن يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو أن يدعو غير الله تعالى مثل أن يدعو صاحب قبر، أو يدعو غائباً لإنقاذه من أمر لا يقدر عليه إلا الحاضر.

* **وأما النوع الثاني فهو الشرك الأصغر وهو:** كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة.

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠).

من أمثلته: الحلف بغير الله فالحالف بغير الله الذي لا يعتقد أن لغير الله تعالى من العظمة ما يماثل عظمة الله مشرك شركاً أصغر، ومثل يسير الرياء وهو خطير قال فيه النبي ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**». (١)

كثير من الناس اليوم يزينون الشرك، فتراهم يقولون لمن يطوف حول القبور يدعو الموتى من دون الله إن هذا من باب محبة الأولياء والصالحين، ولقد أحسن الإمام حافظ حكمي رحمه الله إذ يقول في سلمه:

قد صادهم إبليس في فخاخه * بل بعضهم قد صار من أفراخه**

يدعـــو إلى عبادة الأوثـــان * بالمـــال والنفس وباللســـان**

وكثير من الناس تجدهم إذا أصابتهم شدة، نادوا: يا عيدروس، ويا خمسة، ويا ابن علوان ووو... إلخ، وخصوصاً كثير من العوام في القرى.

أبهذا تكون محبة الأولياء والصالحين؟! يدعون من دون الله عز وجل، ينذر لهم، ويذبح لهم، ويتقرب لهم بأنواع من القربات؟!! وهم لا يملكون شيئاً ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ [فاطر: ١٣].

فالعبادة حق لله عز وجل، وليست حق لهؤلاء، فلا تصرف إلا لله جل جلاله.

(١) تقدم الكلام عليه قبل قليل.

قال الله ﷻ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

- (**يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية**) فخالق الأكوان، والمحيي والمميت هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.
- (**إفراد الله بالعبادة والكفر بما يعبد من دونه**) على ذلك قام الدين كله، فبدون هذا الأصل ينهدم الدين، فليس هناك دين لمن لا إخلاص له.

فلا بد من معرفة الخير للعمل به، ومعرفة الشر للحذر منه، فتعرف ما هو الإخلاص، وكيف يتحقق الإخلاص، حتى تستطيع تعمل بهذا الإخلاص، وتعرف ما هو الشرك وأنواعه، وكيف يقع الإنسان فيه، حتى تستطيع أن تبتعد منه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تُنْقَضُ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةً عُروةً إذا نَشَأ في الإِسْلامِ مَنْ لا يَعْرِفُ الجَاهْلِية». [1]

(١) انظر "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٣٠١) و"الفتاوى الكبرى" له (٥/ ٢٦٤) وغير ذلك.

وهكذا حديث: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] «إِنَّهَا السُّنَنُ، سُنَنُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». (١)

فهذا إنكار من النبي ﷺ عليهم.

فلا بد من هذا الأمر فتعرف التوحيد، وتعرف السنة، وتعرف دعوة السنة، وتعرف أصول المنهج السلفي حتى تعمل بذلك، وتعرف الشرك، وتعرف البدع، وتعرف فرَق أهل البدع – من «جهمية»، و«معتزلة»، و«روافض»، و«إخوان مسلمين» ... إلخ – حتى تجتنبهم.

فتعرف فرقة «الإخوان المسلمين» وأنها جماعة فتن «إرهابية»، ما هي حول العلم ولا حول الدعوة للتوحيد، من عهد مؤسسهم حسن البناء إلى يومهم هذا، ومنهم سيد قطب في كتابه «ضلال القرآن» وهو كتاب فيه من الضلالات الشيء الكثير، وهو ليس بتفسير، وإنما هو كتاب أدبي.

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) وغيره من حديث أبي واقد الليثي ﷺ، وأما اللفظ الذي ذكره الشيخ – حفظه الله – فهو عند أحمد في "مسنده" (٢١٨٩٧) وغيره.

وتعرف «الصوفية» وفرقها من «البرهانية»، و«الجشتية»، و«النقشبندية»، و«السهروردية»، و«الجيلانية»، و«القادرية»، و«الشاذلية»، و«جماعة التبليغ»... إلخ.

وتعرف «الرافضة» وفرقهم، حتى تحذر منهم، فاليوم كثر الذين يتحوثون، بل بعضهم يقول: "سيدي عبد الملك ورسول الله سوى سوى"، فهم الآن يربون الناشئة على العقائد الباطلة.

في إِبِّ مركز لأهل السنة والجماعة بمسجد التوحيد كان فيه قدر أربعمائة طالب، يتعلمون الكتاب والسنة، فأخرجهم «الرافضة» «الحوثيين»، وأسكنوا بدلهم طلاباً يعلمونهم الضلال.

ينعقون صباح مساء بالموت لأمريكا، ولليهود، وما قتلوا كلباً أمريكياً، فضلاً عن إنسان، وفي المقابل يقتلون آلاف المسلمين البريئين، ويهتكون أعراضهم ...

وتعرف «جماعة الجهاد»، ويسميها الشيخ مقبل رحمه الله (بجماعة الفساد)، فيحمسون الشباب بالأناشيد الجهادية، حتى يغسل رأس الشاب تماماً ويصبح فكره فكر "انتحاري" – كما يقال –.

والعلماء قالوا: "لا بد على الإنسان أن يعرف الشر لاجتنابه".

قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

قال حذيفة رضي الله عنه: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي». (١)

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه *** ومن لا يعرف الخير من يقع فيه

بعض الناس يقول: أنا أريد أن أعرف الخير، وأطلب العلم، وأتعلم، ولكن لا علاقة لي بالشرك، ولا بالبدع، ولا بالحزبية، فإن معرفة ذلك يقسي القلب.

الرد: هذا غير صحيح لأنه قد يقع في الشرك وهو لا يشعر بل قد يكون قائل ذلك من دعاة الشرك سواء شعر أم لم يشعر.

فإن أتاك أحد من «جماعة التبليغ» وقال لك: تعال اخرج معنا، فتقول له: أنت من «جماعة التبليغ»، و«جماعة التبليغ» فرقة مبتدعة، ونحن لسنا معكم، وأنتم تفسرون (لا إله إلا الله) بتوحيد الربوبية، وما عندكم اهتمام بالعلم، وتروون الأحاديث الموضوعة، والقصص المكذوبة ...

فعند خروجهم، يجعلون أحدهم عند المنبر يدعولهم، ويسمى (بالدنمو) ...

(١) مسلم (١٨٤٧).

[قصة] كان ذات مرة كان معهم شخص جاهل، فبعد أن فرغوا من صلاة المكتوبة، قال أحدهم أمام الناس لذلك الرجل: قم فانصح، فقام الرجل فلما رأى الناس والجموع بكى الرجل لأنه لا يدري ما يقول للناس، فقال أميرهم: انظروا إلى هذا الشيخ بكى من خشية الله.

فلا بد على الإنسان أن يتعلم أصول دينه، أن يعرف عقيدته، فتعرف ما لله ﷻ من حقوق فحقه (أن يعبد ولا يشرك به شيئا):

فعـــار على المرء الـــذي تـم لبه * وأملت فيـــه المروءة والحزم**

إذا قيل ما اذ أوجب الله يا فتى * أجاب بلا أدري وأنا لي العلم**

فعار عليك أن تجهل دينك.

والجهل كما قال ابن القيم رحمه الله:

والجهل داء قاتل وشفاءه * أمران في التركيـب متفقان**

نص من كتاب أو من سنة * وطبيب ذلك العالم الرباني**

فليس ثمة شفاء للجهل إلا بالتفقه في الدين، ولا يكون ذلك إلا بالعلم، فاحرص عليه، فإنك إما أن تكون عالماً، أو متعلماً، واحذر أن تبقى جاهلاً، فإن الجاهل يجني على نفسه – والله المستعان –.

❁ قال رحمه الله: **(وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة):**

القرآن كله في التوحيد، وفي مكملاته، وفي بيان جزاء أهله، وفي التحذير من الشرك، وفي بيان وسائل الشرك، وفي بيان جزاء أهله.

قال ابن القيم رحمه الله: "فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ فَـ ﴿الْحَمْدُ لله﴾. تَوْحِيدٌ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. تَوْحِيدٌ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. تَوْحِيدٌ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. تَوْحِيدٌ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. تَوْحِيدٌ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. تَوْحِيدٌ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. تَوْحِيدٌ مُتَضَمِّنٌ لِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ، وَلِذَلِكَ شَهِدَ الله لِنَفْسِهِ بِهَذَا التَّوْحِيدِ، وَشَهِدَ لَهُ بِهِ مَلَائِكَتُهُ، وَأَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ، قَالَ: ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الْإِسْلَامُ﴾.

فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِثْبَاتَ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَالرَّدَّ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الطَّوَائِفِ، وَالشَّهَادَةَ بِبُطْلَانِ أَقْوَالِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ، وَهَذَا إِنَّمَا يَتَبَيَّنُ بَعْدَ فَهْمِ الْآيَةِ بِبَيَانِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ". اهـ

قال الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]. فالقرآن ميسر، وأنزل باللسان العربي ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. فلا يوجد فيه تعقيد، وإنما أوتينا من العجمة، فلما تعجم اللسان أصبح من الصعب فهم القرآن على كثير من الناس، ويستعان على ذلك بالتفسير.

بعض الأعاجم أفضل من بعض العرب في فهم العربية.

ففي قول الله ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]. كلام محكم مفهوم يفهمه أي إنسان، من أن العبادة حق لله، وفيها النهي عن الشرك، فصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ﷻ شرك.

وهذا الأمر يفهمه أبلد الناس، إلا أن من يصور نفسه بأنه من العلماء والأذكياء تجده يقع في الشرك الأكبر بسبب عدم دراسته للكتاب والسنة وفهمه عن الله ورسوله مراده.

❁ قال رحمه الله: (**لما صار على أكثر الأمة ما صار**):

فالأمة الإسلامية مرت وتمر بأنواع من الفتن، والمدلهمات، والضلالات، فخرجت الخوارج، وترفضت الرافضة، واعتزلت المعتزلة، وخرجت القدرية، وتجهمت الجهمية، وكل أنشأ له أصولاً، وقعد له عقائد، وكل هذا بسبب الجهل بالعلم المستقى من:

- **الكتاب**
- **والسنة**
- **على ما كان عليه السلف الصالح** ﷺ

وانتشار الجهل كما في «البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما: «[هَذِه] أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ - وَدٌّ وسُوَاعٌ ويَغُوثُ ويَعُوقُ ونَسْرٌ -، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ». (١)

فالشيطان يتدرج بالإنسان حتى يوقعه في الشرك ﴿**وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة: ١٦٨] لأن المشرك إذا مات على الشرك، أصبح هو

(١) (خ/ ٤٩٢٠).

والشيطان في جهنم ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقد قص الله ﷻ علينا كيف تدرج الشيطان في إغواء أبينا آدم عليه السلام ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٠-٢٢].

فالشيطان يزين لك الشرك، والبدع، والضلالات، والمعاصي ثم بعد ذلك يقول لك ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]. ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وكذلك يتبرأ المتبوعين من أتباعهم يوم القيامة وكذا العكس قال الله ﷻ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

فأنت لا ينفعك إلا عقيدتك وتوحيدك بعد الله ﷻ، فلا تتبع أحداً لا فلان ولا علان، لا من رؤساء القبائل والعشائر، ولا ممن ينظر إليهم بمنظار العلم وهم جهال، وهم عباد قبور، يستغيثون بالأموات، ويقربون لها القربات ... إلخ.

فلأن تموت جوعاً وأنت على عقيدة صحيحة خير لك من أن تموت وأنت على عقيدة منحرفة ضالة ولو كنت من الأغنياء، وفي الحديث [1] : «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيغمس غمسة في النار فيقال له: هل رأيت خيراً قط، هل مر بك نعيماً قط، فيقول: لا والله يا رب ما رأيت خيراً قط، ولا مر بي نعيم قط** - فقد نسى كل شيء من مجرد غمسة واحدة، فكيف بمن هي داره؟! نسأل الله أن يجيرنا من النار وما قرب إليها من قول وعمل - **ويؤتى بأشد أهل الدنيا من أهل الجنة فيغمس غمسة في الجنة، فيقال له: هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط فيقول: لا والله يا رب ما**

(١) أصله في صحيح مسلم (٢٨٠٧) من حديث أنس ﷺ.

رأيت بؤساً قط، ولا مر بي شدة قط – فقد نسي كل شيء – من أمراض وأسقام وأوجاع وربما ضرب وأهين وأوذي – من مجرد غمسة واحدة لأن معه التوحيد والعقيدة الصحيحة – فكيف بمن تكون داره؟! نسأل الله من فضله.

أهل السنة يركزون على العلم في كل زمان ومكان، لأن الشيطان يريد جهلاً يريد أن الأمة تكون جاهلة بدينها، وليس بدنياها.

[قصة] طبيب قدموه يصلي صلاة الجنازة، وهو يجهل أمور دينه، فذهب يصلي بهم صلاة ذات ركوع وسجود، ولا حول ولا قوة إلا بالله! السبب: عدم الاهتمام ببعض مسلمات الأمور.

وجنود إبليس من الإنس من أمثال «الصوفية» الذين يربون طلابهم على التقليد الأعمى – كن في يد الشيخ كما يكون الميت في يد المغسل – لا اعتراض البتة – لا تعترض فتنطرد –. ومن هنا، أدخل الشيطان على «الصوفية» القبائح، من محبة المردان، فتراه يعشق الأمرد، حتى أن بعضهم يقول لمريده: دعني أقبل هاتين الشفتين اللتين نطقتا بقول (لا إله إلا الله)، – والعياذ بالله –.

وأدخل عليهم الوساوس، واقرأ في ذلك كتاب «تلبيس إبليس» لابن الجوزي رحمه الله.

وهكذا فإن دعاتهم أصبحوا أفراخاً للشيطان الرجيم كما قال حافظ حكمي:

قد صادهم إبليس في فخاخه * بل بعضهم قد صار من أفراخه**

يدعـــوا إلى عبـــادة الأوثـــــان * بالمـــال وبالنفس وباللســـان**

والناس لا يميزون، فأهم شيء أن العمامة تبرم على الرأس، وتلبس الجبة فهذا عندهم هو العالم، ولو كان فرخاً من أفراخ الشيطان منهجه باطل، وعقيدته منحرفة.

كما قال الشيخ مقبل رحمه الله: "عمائم على بهائم".

وما أجمل ما قاله القائل:

تصدر للتدريـــس كـــل مهوس * بليـد تسمـــى بالفقيه المدرس**

فحق لأهل العلم أن يتمثلـــوا * ببيت قديـــم شـــاع في كل مجلس**

لقد هزلت حتى بدى من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس**

والشيطان يصعب عليه أن يلبِّس باطله على أهل العلم، وإن كانوا ليسوا بمعصومين، ولكنهم عندهم ما يدفعون به باطله بعد توفيق الله ﷻ.

❁ قال رحمه الله: (**أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم**):

يعني: انعكست الموازين.

فالشيطان يزين لهم سوء أعمالهم، ويزين لهم الشرك، ويقدمه لهم بهذا القالب، فإنه يريهم أن هؤلاء الموتى صالحين، وأن ترك التقرب إليهم منقصة في حقهم فجعلوا لهم من الحقوق ما هو أعظم من حق الله، فيجعل الإخلاص الذي أرسل الله ﷻ من أجله الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع لتحقيقه، والدعوة إليه. تنقصاً في حق الأولياء والصالحين.

ثم هؤلاء الأولياء من قال إنهم أولياء؟!، ولو ثبت أنهم أولياء وصالحون، فهذا ينفعهم ولا ينفعك، فلماذا تشركهم في عبادة الله ﷻ، ومما أوصى به لقمان ابنه ما قصه الله ﷻ علينا في كتاب الكريم ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي المتقدّم: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

فذهابك إلى قبر الولي – كما يزعمون – فتدعوه، وتقرب له القربات، وتذبح له الذبائح، وتطلب منه المدد، فهذا من تزيين الشيطان لك بأنه محبة للأولياء والصالحين.

فهي في حقيقة الأمر مغالطات يروجها الضلاّل الذين هم أبواق للشيطان.

فهل تكون محبة النبي ﷺ بأن تصرف له العبادة؟، لا، قال الله ﷻ ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وعند أن قال ذلك الأعرابي للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي ﷺ: «**جَعَلْتَ للهِ نِدًّا، مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**». (١)

فالميت يريد منك أن تدعوله فكيف تدعوه؟!

فيجب علينا عباد الله أن نخلص العمل لله ﷻ، فهو حق لله علينا (**حق وجوب وتحتم وإلزام**)، وفي الحديث: «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟**» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّهُمْ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**». (٢)

ويجب علينا أن نبتعد عن الشرك بالله ﷻ، بأنواعه (الأكبر، والأصغر) وكذلك (الشرك الخفي).

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب" (٧٨٣) وأحمد (١٨٣٩) و(١٩٦٤) و(٣٢٤٧) وغيرهما.

(٢) **متفق عليه** (خ/ ٢٨٥٦) و(م/ ٣٠) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

و(الأكبر) منه الجلي القولي كدعاء الأموات ومنه الفعلي كالانحناء لغير الله تعظيماً له.

و(الشرك الأصغر) منه الجلي القولي كالحلف بغير الله، ومنه الفعلي كلبس الحلقة والخيط باعتقاد أنهما سببان للشفاء.

والشرك الخفي ومحله القلب وهو يسمى بشرك السرائر ومنه الأكبر كالنفاق الاعتقادي ومنه الأصغر كيسير الرياء.

فإذا تحقق التوحيد، فمعك أساس الدين، وما سواه فإنه ينبني على هذا الأصل.

[نصيحة] «الصوفية»، و«الرافضة»، و«الحزبيين»، ليسوا بأهل لأن يؤخذ عنهم العلم، وإنما يؤخذ العلم عن الثقات من علماء التوحيد والسنة المعروفين بالعقيدة الصحيحة الطيبة الصافية، فقد قال ابن سيرين رحمه الله: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم». [1]

(١) رواه مسلم في "مقدمة صحيحه" (١/ ١٤)

الأصل الثاني

❁ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله:

أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

الشـــــرح

❁ قال رحمه الله: (**أمر الله بالاجتماع في الدين**):

الاجتماع على كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وهذا هو المطلوب، وقد أمر الله بذلك، وهذا يعتبر أصل من أصول الدين، ومن أصول أهل السنة والجماعة حيث أنهم يدعون إلى ذلك، فهم يدعون إلى الاجتماع وتوحد الكلمة، لكن على صفاء

ونقاء، وليس على غث، وليس على باطل، وليس على لفلفة كما يقول بعض رؤوس «الإخوان المفلسين»: (نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) [1]

أي: أن «الصوفي»، و«الشيعي»، و«القبوري» و«الحزبي»، بل حتى السني في نظرهم شيء واحد أهم شيء نكون في بوتقة واحدة، كما يقال (مخضرية) وهذا غلط، فلو أن هناك ماءً ملوثاً فإنك لا تستطيع أن تشرب منه بتاتاً، بعكس إن كان الماء عذباً زلالا.

[شبهة] نحن مسلمون، والله سمانا مسلمين، فلماذا لا نجتمع كلنا بعجرنا وبجرنا؟

الرد: نعم الله سمانا مسلمين، ولكن ما هو الإسلام الذي دعانا الله إليه، فهل هو الإسلام المتضمن للعقائد الباطلة، كعقائد «الروافض»، وعقائد «الصوفية»، وعقائد أهل الضلال، لا لا أبداً، فليس هذا هو الإسلام الذي دعانا الله إليه، وإنما دعانا إلى الإسلام الصافي النقي.

قال الله ﷻ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

(١) وهي ليست لحسن البناء، وإنما أخذوها عن جمال الدين الأفغاني الماسوني.

وجاء في حديث الافتراق، حديث عوف بن مالك رضي الله عنه عند ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً**» وَهِيَ: «**الْجَمَاعَةُ**» (١) . وفي لفظ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**». (٢)

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك».

فلا بد أن نعي هذا الأمر جيداً (**الجماعة أصل أصيل في الدين وتركها هو الضلال المبين**)

والمحك – هنا – هو على ماذا نجتمع؟، وقد تقدمت الإجابة على ذلك.

[شبهة] يقول بعض الناس: الله يقول ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وأهل السنة يفرقون الناس؟

الرد: نعم، الآية صريحة الدلالة على وجوب ذلك، ولكن الاعتصام يكون بحبل الله ﷻ، وحبل الله هو الكتاب والسنة، وليس بأقوال الرجال، فإن أقوال الرجال

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) وغيره من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

تتغير، وعبد الله بن مسعود ﷺ يقول: «مَنْ كان مُسْتنّا فَلْيَسْتن بمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ». (١)

وأهل السنة كذلك يفرقون بين الحق والباطل، وفي الحديث: «وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ». (٢) أي: فرق الله به بين الحق والباطل. ولقب عمر رضي الله عنه بـ«الفاروق» (٣): لأن الله فرّق به بين الحق والباطل.

نحن ندعو الأمة كلها إلى الاجتماع على الحق، ولا بد من هذا القيد (على الحق)، وكم وكم...، وأهل السنة، يدعون الناس إلى الاجتماع وترك الفرقة، فكم قد حذروا من «الخوارج»، ومن «الروافض»، ومن حزب «الإخوان المفلسين»، ومن «السرورية» – التي هي بنت «الإخوان» من الرضاعة كما يقال –، ومن التنظيمات الضليلية ... وإلخ من الفرق التي فرقت وحدة المسلمين.

(١) أخرجه بنحوه أبو داود في "الزهد" (١٣٢) واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١٣٠) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٢٨١) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٣) كما ثبت من قول عبد الله بن عمرو ﷺ في "فضائل الصحابة" لأحمد بن حنبل (٧٤).

وبعض المدرسين – أصلحه الله – يحضر حلقته "الغث والسمين"...

[1] – كما يقال –، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم الاهتمام بالتصفية، وديدنه (نحن نريد أن نجمع الناس فلا نبغضهم ولا ننفرهم) وقد تقدر الرد على هذا.

«جماعة التبليغ»، تنتقي أبواب الرقائق والزهد، من «رياض الصالحين»، وتترك أبواب الاعتقاد – كالإخلاص –، حتى يلفلفوا الناس ولا ينفروهم – زعموا –، وهكذا كل الفرق يرضون بالخليط.

قال بعض السلف ﷺ: «أهل السنة نصحة، وأهل البدع غششة».

۞ **فخلاصة القول**: أن الاجتماع يكون على مرحلتين:

١. **(تصفية)**. من العقائد الفاسدة، والمناهج الرديئة، ويكونوا على عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم العقيدة الصحيحة.

٢. **(تربية)**. ويكون ذلك على الصفاء.

فإن الاجتماع على اللفلفة والغثائية لا يكون أبداً، لأن كل يريد أن يكون هو القائد، وأن الناس يكونون مثله.

---

(١) فأحدهم يعتقد أن الله ﷻ في كل مكان بذاته، والثاني يعتقد نفي الصفات، والثالث يعتقد أن الميت ينفع .... إلخ، فلا بد من التصفية.

❁ قال رحمه الله: **(ونهى عن التفرق فيه)**:

فإن الناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ أمة واحدة، كلهم على عقيدة واحدة، ثم دب المرض مرض التفرق والاختلاف بعد ذلك.

فبدأ في عهد بعض الصحابة حين ظهرت «القدرية»، فجاء من جاء إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: إن أناساً يقولون: إن الأمر أنف [(١)] ولا قدر، فتبرأ ابن عمر رضي الله عنهما من هذا القول ومن أهله حيث قال: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي». [(٢)]

وهكذا بزغت «الشيعة»، وتطور بهم الحال إلى أن ادعوا الألوهية في علي رضي الله عنه، وقد تولى كبر ذلك عبد الله بن سبأ اليهودي – لعنه الله – فادعى التشيع أولاً لآل البيت ثم ادعى النبوة، وهو من تسبب بمقتل عثمان رضي الله عنه.

وهكذا أيضاً بزغت «المعتزلة»، و«الجهمية»، و«الأشاعرة» ونحوهم من أصناف أهل البدع.

---

(١) أي أن الله ﷻ لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها – والعياذ بالله –، فعلم الله ﷻ محيط بكل شيء، فهو ﷻ يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد أنكر بعض أهل العلم لفظة (الله على ما يشاء قدير) والصواب أن (الله على كل شيء قدير).

(٢) رواه مسلم (٨).

وتطور الأمر إلى أن كثرت الفرق التي تنتسب إلى الإسلام وكل يشطح من جهته.

والفِرَق التي بزغت في هذه الآونة الأخيرة المسماة «فرق إسلامية» كالجمعيات – «جمعية الحكمة»، و«جمعية البر»، و«جمعية الإحسان»، وجمعية «إحياء التراث»، وجمعية الإصلاح –، وهكذا أيضاً «السرورية» – أصحاب محمد بن سرور – و«القطبية» – أصحاب سيد قطب –.

وحتى إلى قريب ممن كان مع أهل السنة والجماعة، فشذ عن جماعتهم وعن علمائهم، كحزب أبي الحسن المصري وحزب العدني – أتباع عبد الرحمن العدني –.

وكل هذا من التفرق الذي يرضاه الشيطان، ويغضب الرحمن.

والله ﷻ نهى عن التحزب قال الله ﷻ ﴿**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

قالت أم سلمة رضي الله عنها: «أَلَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَزَبَ» ذكره الشاطبي رحمه الله في «اعتصامه». [1]

(١) انظر "الاعتصام" (١/ ٨٠) [باب ما جاء في القرآن من ذم البدع وأهلها]، وأصل القصة أخرجها أحمد في "العلل ومعرفة الرجال" (٣٥٩٧) والأصبهاني في "اللطائف من دقائق المعارف" (١٣٩).

«الحزبية» مقيتة، وهي فكرة غربية دخيلة تعقد «الولاء والبراء» على ذوات أشخاص – من قيادات الأحزاب – أو على أفكار – بعض البشر – والعياذ بالله قال تعالى ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

فلا يكون ولاء من أجل الله، وبراء من أجل الله، ولا يكون حب في الله، وبغض في الله، وإنما لأجل الحزب وللحزب، فالميزان عندهم أفكار الحزب، وأقطاب الحزب، وليس العلم والدين – وهذا ليس من الإسلام – فالإسلام يدعو الناس إلى المحبة، وإلى الإخاء، وإلى الاجتماع ولكن على أساس الحق – على أساس الكتاب والسنة –.

وما سيطر الحوثي على ما سيطر عليه من تراب أرض اليمن، إلا بسبب «الحزبية» المقيتة، فهذا إصلاحي، وهذا مؤتمري، وهذا اشتراكي، وكل يبحث عن مصلحته.

فهذه هي الحزبية التي ذمها الله ﷻ في كذا موضع من كتابه فحزب الشيطان هم الخاسرون ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩] وحزب الله هم المفلحون ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فتنة «الخوارج» – الذين يخرجون على ولي الأمر المسلم – فتنة عظيمة جداً، فإنه لا يجوز الخروج على الحاكم المسلم ولو كان ظالماً، ولو كان فاسقاً.

فهذا الإمام أحمد رحمه الله، وكان تحت وطأة التعذيب، وكان يقال له: يا إمام إن الأمر – أي القول بخلق القرآن – قد استفحل، حتى قرر في الكتاتيب، أفنخرج عليه؟ فكان يقول لهم: "لا، دماء المسلمين، اصبروا حتى يستريح مؤمن ويستراح من فاجر".

ولم يأمرهم بالخروج على الحاكم، لأنه رحمه الله يعلم أنهم تحت تأثير بعض رؤوس «المعتزلة»، كأحمد بن أبي دؤاد المعتزلي وأضرابه.

وقد حذر أهل الحق من الثورات والمظاهرات، وماذا أجلبت هذه الأمور إلا مزيد من الدمار والإذلال، وما تجرأ هؤلاء الخنازير الذين يستهزؤون بالله وبدينه وبرسله، إلا بعد أن رأوا ضعف ووهن المسلمين.

فلو كان لكثير من أهل الإسلام اعتزاز بدينهم ما تجرأ عليهم أحد، فهذا هارون الرشيد يكتب إلى ملك النصارى آنذاك: من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما ترى لا ما تسمع والسلام ...

وصدق رسول الهدى عليه الصلاة والسلام حين قال: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**». (١)

قال أهل العلم: والشهر أبعد مسافة كانت بينه عليه السلام وبين أعدائه قال شيخنا عبد المحسن العباد حفظه الله: "وإنما جعل الغاية شهراً لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه". اهـ انظر «عشرون حديثاً من صحيح الباري – دراسة أسانيدها وشرح متونها (ص٦٧).

وقد بين النبي ﷺ سبب هذا الضعف بقوله: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**» رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما. (٢)

فلو طبق هذا الأصل الأصيل لما وجد الأعداء إلى أهل الإسلام سبيل قال الله ﷻ ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وأهل دماج خير مثال على ذلك، فمع قلتهم وضعف عدتهم – الحسية – وعدوهم على كثرة أعداده، وقوة عتاده، مع هذا لم يستطيعوا أن يصلوا إلى المركز فالله ﷻ هو الحافظ.

---

(١) **متفق عليه** (خ/ ٣٣٥) و(م/ ٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أبو داود (٣٤٦٢).

الأعداء يخافون من قتال أهل السنة [١] وشرفاء القبائل خوفاً ذريعاً، لأنهم يعلمون أن قتال أهل السنة لله ﷻ، وليس لأجل حفنة دراهم، أو مناصب، أو كراسي، أو رتب عسكرية.

❁ قال رحمه الله: **(ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك)**:

فالأدلة في ذلك من الكتاب والسنة متكاثرة ومتظاهرة في تقرير هذا الأصل الأصيل **(الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة)**، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ**» رواه الحاكم وابن أبي عاصم من حديث عمر رضي الله عنهما. [٢]

وقال ﷺ: «**الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**». [٣]

[تنبيه] وأما حديث: «**اختلاف أمتي رحمة**» فلا أصل له.

---

(١) وكل من تمسك بالسنة فهو من أهل السنة ولو كان عامياً.

(٢) في "المستدرك" برقم (٣٨٧) و(٣٩٠) وعند ابن أبي عاصم في "السنة" برقم (٨٨).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٤٤٩) و(١٨٤٥٠) و(١٩٣٥٠) و(١٩٣٥١) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وقال العلامة الألباني رحمه الله: "ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا". اهـ

[فائدة] الاختلاف على ثلاثة أنواع:

١. (اختلاف تضاد). وهو المحرم.

٢. (اختلاف تنوع). كأذكار أدبار الصلوات، وأدعية الاستفتاح.

٣. و(اختلاف أفهام). كما حصل للصحابة رضوان الله عليهم في غزوة بني قريظة من صلاة بعضهم العصر في الطريق والبعض الآخر صلاها عند وصوله إلى النبي عليه السلام.

ومما يقوي هذا الأمر التآخي في الله، ولذلك قال الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ». (١)

ولا يجوز التهاجر، والتقاطع بين أبناء المنهج الواحد فإن ذلك يخالف هذا الأصل، فما دام أخوك على الكتاب والسنة فيكون بينك وبينه التناصح فتأخذ بيده ويأخذ بيدك إلى الخير.

(١) متفق عليه (خ/ ٤٨١) و(م/ ٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

❁ قال رحمه الله: **(ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون)**.

قوله **(أصول الدين وفروعه)**: تقسيم الدين إلى أصول وفروع تقسيم منتقد، والصواب أن يقال: هناك أمور علمية – كالاعتقاد – وأمور عملية.

فأصبح الافتراق هو المرغوب، والاجتماع هو المرهوب فانعكست الموازين، فالحق باطل، والباطل حق.

(زنديق): بمعنى منافق.

قال العلامة الفوزان حفظه الله: "الذي يأمر بالاجتماع، وترك الخلاف، يقولون عنه: هذا خارج عن الأمة، هذا زنديق لأنه يلغي أقوال العلماء، فنحن لا نلغي أقوال العلماء، إنما نعرضها على كتاب الله، نحن لم نكلف باتباع الناس، إنما أمرنا باتباع القرآن والسنة، هذا هو الحق، ما أمرنا باتباع فلان وفلان، والله ﷻ لم يكلنا إلى آراءنا واجتهاداتنا، بل أنزل علينا كتابه، وأرسل إلينا رسوله، وإذا رجعنا إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة السلام زال الشقاق، وزال الاختلاف واجتمعت الكلمة". اهـ

قلت: نعم بلا شك، لأن الكتاب والسنة مصدر الوحدة.

ذكر الإمام اللالكائي رحمه الله أن سبب اجتماع كلمة أهل الحديث لأن مصدر التلقي عندهم واحد وهو (**الكتاب والسنة**).

وسبب اختلاف عقائد أهل البدع العقل والمعقولات، والعقل لا يعتمد عليه، فاختلفت أفكارهم، واضطربت آراءهم.

هذه الأصل يحتاج أن يقف الإنسان عنده وقفات كثيرة.

الأصل الثالث

❁ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله:

إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبين الله هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به.

الشـــرح

وهذا أصل مهم جداً، بعد أن تكلم على وجوب الاجتماع ونبذ الفرقة أردف ذلك بهذا الأصل (**السمع والطاعة وتحريم الخروج**)، لأنه من تمام الاجتماع ونبذ الفرقة.

❁ قال رحمه الله: (**إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبين الله هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً**).

وطاعة ولاة الأمر في طاعة الله عز وجل، دل عليها الكتاب والسنة وحصل الإجماع على ذلك.

قال الله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير رحمه الله: "المقصود بأولي الأمر: العلماء، والأمراء". اهـ

فيطاعون في طاعة الله ﷻ، وإن أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة، ولا يعني ذلك الخروج عليهم، كما جاء في الحديث: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْراً فَمَاتَ؛ إلا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**». رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما. (١)

وقال: «**أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**» رواه مسلم من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

❁ **(إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبين الله هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً).**

جاء في «الصحيحين» من حديث عبادة رضي الله عنه: «**أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**». (٢)

---

(١) متفق عليه (خ/ ٧٠٥٤) و(م/ ١٨٤٩).

(٢) (خ/ ٧٠٥٦) و(م/ ١٧٠٩) واللفظ للبخاري.

(**وعلى أثرة**) أي الاختصاص والاستئثار، حتى إن اختص الولاة بحقنا وأخذوه عنوة، فلا يجوز الخروج عليهم.

(**وألا ننازع**) أي لا ننابذ الحكام ما هم عليه من السلطة.

(**كفراً بواحاً**) أي كفر واضح وظاهر، لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان أبداً، ومرجعية الناس في هذا الباب علماء أهل السنة والجماعة.

(**برهان**) لكم فيه دليل واضح.

وجاء في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ الله الَّذِي لَكُمْ**». (١)

جملتان لا ثالث لهما، لو عملنا بهاتين الجملتين لسلم لنا الأمر، ولما وصلنا إلى ما نحن عليه الآن من ضعف توفر أساسيات الحياة الضرورية.

(**أثرة**) يستأثر الولاة بحقنا لهم.

(١) (خ/ ٣٦٠٣) و(م/ ١٨٤٣).

(**قالوا** ...) رجع الصحابة إلى معلمهم الأول رسول الله ﷺ، وهكذا ينبغي على الناس أن يرجعوا عند المدلهمات إلى علماء التوحيد والسنة الذين يفتون الناس بالكتاب والسنة.

(**أدوا الحق الذي لهم**) من السمع والطاعة في المعروف.

(**واسألوا الله الذي لكم**) ادعوا الله ﷻ أن يوفق هؤلاء الولاة الذين أخذوا حقكم أن يعيدوه لكم.

حتى وإن تحقق هذا الكفر البواح، فلا بد من تحقق المصلحة الراجحة بوجود البديل المسلم.

أما إذا سفكت الدماء فلا يجوز الخروج، كما حصل في سوريا – مثلاً – فالشعب لا يوجد لديه القدرة الكافية على مواجهة هذا الكافر. (١)

فلا بد من الانتباه لهذا الأمر جيداً، فمسألة الخروج على ولاة أمر المسلمين مسألة عظيمة حذر منها السلف الصالح رضوان الله عليهم، وانعقد الإجماع على تحريم الخروج.

(١) والحمد لله قد أراح الله أهل الإسلام في سوريا من هذا الطاغية بشار.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة". [١]

وقال المعلمي [٢] رحمه الله: "وقد جرب المسلمون الخروج فما رأوا منه إلا الشر". اهـ [٣]

لا يوجد خروج في تاريخ الأمة الإسلامية، إلا وهو مليء بالفتن.

فخروج ابن الأشعث على الحجاج، كم زهقت بسببه من أنفس، وفيهم الفقهاء والقراء.

ولا شك في ظلم الحجاج، ولكن الذي يجب هو الصبر، كما في «البخاري» من حديث أنس رضي الله عنه «**لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ». [٤]

---

(١) من عقيدته المشهورة عند الفقرة (٧٢).

(٢) عالم يمني، صاحب كتاب "التنكيل".

(٣) من "التنكيل" (١/ ٢٨٨).

(٤) برقم (٧٠٦٨).

وقال بعض السلف ﷺ: «ستون سنة مع إمام غشوم ولا ليلة بدون إمام». [1]

وهكذا كان الإمام أحمد رحمه الله يأمر بكف الدماء وينهى عن الخروج على المأمون والواثق والمعتصم مع أنه كان في وطأة التعذيب.

وما ذلك إلا لأن في الخروج على ولاة الأمر فيه من المفاسد والأضرار الشيء الكبير، فتصبح الدنيا فوضى، فلا أمن ولا أمان بل يحصل القتل والقتال، والنهب والسلب، وهتك الأعراض ... إلخ.

وما حوادث «الخريف العربي» عنا ببعيد سواء في اليمن أو في غيرها، فما عشناه وعاشاه الناس ونعيشه جميعاً إلا خير مثال على ذلك.

ففي عهد صدام حسين كانت السياسة الأمريكية تعتمد على نفسها في خوض الحروب، فاستنزفت في العراق وفي أماكن شتى الشيء الكثير سواء من رجالاتها أو من الأموال، ولما كان عهد أوباما فكروا تفكيراً آخر، وهو أن يصدموا الشعوب بحكامها، فتتولد من جراء ذلك فتن داخلية، وهم يأتون بعد ذلك فيقطفون الثمرة وينهبون ثروات البلدان بحجة الحماية ونحوها.

---

(١) انظر "شرح الطحاوية" للقاضي ابن أبي العز ﷺ (ص٣٥٥) باللفظ: (سِتُّونَ سَنَةً بِإِمَامٍ ظَالِمٍ خَيْرٌ مِنْ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِلَا إِمَامٍ). اهـ وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كما في "مجموع الفتاوى" (١٤/ ٢٦٨).

وللأسف الشديد أن فكر «الإخوان المسلمين» كان عوناً أساسياً في ذلك لهم حيث طمّعوهم بالمناصب والكراسي لعلمهم بعشق قيادات الإخوان المسلمين للكراسي والمناصب والرتب واستخدموهم معول هدم في البلدان الإسلامية.

ف «الإخوان المسلمين» على مر تاريخهم الإرهابي الأسود وهم مركبة كل راكب يُستخدمون لتحقيق مآرب الغرب ثم بعد ذلك يُزج بهم في السجون ومن سلم منهم أخذ حقيبته الدبلوماسية وهرب إلى تركيا.

والله يقول ﷻ ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ [البقرة: ١٢٠].

وهذه الحقيقة لا يفهمها كثير من الناس.

ولما لم يفهم غالب الناس هذا الأصل الفهم الصحيح، حصل ما حصل، واليوم هاهم السودانيون يدمرون بلادهم بأيديهم، فغالب السودان دمرت وأصبحت شبه منتهية شبه منتهية بما في ذلك العاصمة الخرطوم.

وهذا مما يفرح به الأعداء كثيراً، فيغذون هؤلاء وهؤلاء وهم يتفرجون، وهذا كله من أجل الدنيا والكراسي.

وأذكر قديماً كان عبد المجيد الزنداني يصيح مستنكراً: البيضة بثلاثة ريال!، واليوم البيضة بمائتين أو أكثر!!

ونحن إذ نبين مثل هذه الأمور، فحتى يتفادى الناس هذه الفتن والقلاقل والمشاكل.

[شبهة] بعض الناس يقول: أهل السنة يبررون للحكام أخطاءهم.

الرد: نحن لا نبرر، بل ننكر المنكر ولكن بالأساليب الشرعية، وليس بالأساليب الغربية، فلما أدخل الحاكم الانتخابات والديمقراطية أنكر أهل السنة ذلك، ولما أدخل الحزبيات أنكروا ذلك فأهل السنة نصحة.

في ألفين وأحد عشر، خيمة الإصلاحين بجانب خيمة «الحوثيين» جنباً إلى جنب، ولم يكن لأهل السنة خيمة آنذاك، بل كانوا يحذِّرون من الثورات، والاعتصامات، نصحاً لله ﷻ ولعباده المسلمين، وهذا منهج من مشى عليه نجا.

الحزبين يتخذون الدين مطية لمآربهم السياسية. ولي رسالة بعنوان «الإعلام بمخالفة خوارج العصر لسيد الأنام» فلتنظر.

قوله: (**شرعاً وقدرا**) بالدليل وبالواقع، كما بينا ذلك بياناً شافيا بحمد الله.

❁ قال رحمه الله: **(ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به)**.

فإن جئت تتكلم بهذا الأصل وتبينه وتحث عليه وتوضح عواقب ومغبة ضده قال «الإخوان المسلمين» وفصائلها من «خوارج» من «السرورية» وأصحاب «القاعدة» و«الدواعش» وأضرابهم: أنت مخابرات، أنت عميل تعمل في الأمن السياسي، أنت تتغذى من الجهة الفلانية، أنت مداهن مع الحكام ونحو تلكم التهم التي تكال على أهل السنة وهم والله برآء منها كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، وغير صحيح البتة بل هو من الظلم والبهتان الظاهر؛ فنحن نتبع الكتاب والسنة وتبع لهما، والذي نفسي بيده نقول ذلك على لسان أهل السنة والجماعة فنحن لسنا تبع لأحد كائناً من كان وإنما تبع للكتاب والسنة، فهذا ديننا، وهذه الأدلة، وهذا الواقع الموجود، الذي يلمسه الصغير قبل الكبير، والأنثى و الذكر، فالكل يلمسه والكل متألم ، ومتحسر، يقولون بلسان حالهم، إن لم يكن بلسان مقالهم: ﴿**يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا**﴾ [الأحزاب: ٦٦].

وأطعنا أهل العلم في بيان ذلك لنا عملاً بقوله ﷻ ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ**

﴿مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا﴾ [النساء: ٨٣].

وأولوا الأمر هنا هم العلماء الربانيون علماء السنة.

ولذلك أهل السنة عندما يتكلمون بهذا الأمر، فإنهم يذكرون الأدلة، وأما أهل البدع فلما كان هذا الأمر يخالف ما هم عليه، وما تربوا عليه من الفتن، والقلاقل، والفوضى، وأصحاب «الشنط الدبلماسية» منهم فكل يأخذ شنطته ويفر إلى البلاد الأخرى عند اشتداد الأمر ودوران الدائرة عليهم، والشعب المسكين هو الذي يصطلي بنيران الفتن من زعزعة أمن ونهب وقتل وقتال وهتك أعراض وفوضى عارمة.

فعلينا أيها الأخوة أن نفهم هذا المنهج الصحيح جيداً، وهو ما كان عليه نبينا الكريم ﷺ، والسلف الصالح والتابعين لهم بإحسان ﷺ، ونتعبد الله ﷻ به حتى ننجو من الفتن والمشاكل والقلاقل، ويسلم لنا الأمر، ويحصل لنا الخير.

الأصل الرابع

❁ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله:

بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾. إلى قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٠-٤٧].

ويزيده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

الشـــرح

هذا أصل مهم جداً في معرفة العلم، وأهله وأن العلم المثني عليه في الكتاب والسنة هو العلم الشرعي – وليس العلم الدنيوي –، والعلماء الذين ورد الثناء عليهم هم علماء الشريعة – وليس علماء الدنيا – العلماء الربانيون الذين يربون الناس على صغار العلم قبل كباره.

[فائدة] العلوم الدنيوية إن خلت من المحاذير الشرعية فتجوز، ولكنها ليست مقصودة بالثناء، لأنها سلاح ذو حدين، فقد تستخدم في الخير وقد تستخدم في الشر، وأما العلوم الشرعية فإنها خير محض، فلا تستخدم إلا في الخير.

[تنبيه] ذكر الأدلة على فضل العلم والعلماء والفقه والفقهاء من الكتاب والسنة في مقام العلوم الدنيوية خطأ.

[فائدة] العلم إذا أطلق في الكتاب والسنة فيراد به علم الكتاب والسنة، وأما إذا قيد فيراد به سائر العلوم الدنيوية؛ فيقال: علم «الطب» علم «الهندسة» علم «الجيولوجيا» ... إلخ.

❁ قال رحمه الله: (**بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤٠] إلى قوله: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾، [سورة البقرة، الآية: ٤٧]. ويزيده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد**).

المقصود بـ (الفقه) أي: الفهم الصحيح عن الله وعن رسوله ﷺ، والمقصود بـ (العلم) أي: العلم الشرعي، والمراد بـ (العلماء) الربانيون: علماء الدين والسنة الذين يربون صغار الطلبة على صغار العلم قبل كباره، و(الفقهاء) أهل الفهم الصحيح وليس مجرد المعرفة وقد يطلق العلماء ويراد بهم الفقهاء والعكس وقد يكون لفظ العلماء أعم والفقهاء أخص.

وقد جاء بيان أهل العلم والفقه في حديث أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعلم كَمثل الْغَيْث الْكثير أَصَاب أَرضًا فَكَانَ مِنْهَا نقية قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاس فَشَرِبُوا وَسقوا وزرعوا وأصابت مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً**

وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». (١)

فتأمل رعاك الله إلى قوله ﷺ: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعلم كَمثل الْغَيْث الْكثير أَصَاب أَرضًا فَكَانَ مِنْهَا نقية قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ) يتبين أن هذا الوصف والتشبيه يتنزل على علماء وفقهاء الشريعة الذين تقدّم وصفه بخلاف أهل البدع من «روافض» و«صوفية» و«حزبيين».

۞ **العلم له فضائل جمة، منها:**

١ . **أن أهله لهم الرفعة في الدنيا** – لما يحملونه من العلم –، **والآخرة** – بما يحصل لهم من الأجور العظيمة بسبب ما تعلموا وعلموا – قال الله ﷻ ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» وفي لفظ خارج «الصحيح»: «**أَفْضَلُكُمْ**». رواه البخاري عن عثمان رضي الله عنه.

(١) متفق عليه (خ/ ٧٩) و(م/ ٢٢٨٢).

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا**». (١)

وقال أبو إسحاق الإلبيري رحمه الله (٢) :

وتحمل منك في ناديك تاجاً * ويكسوك الجمال إذا عريتا**

فبما من الله عليك من الخير والعلم، يقدمك الناس في الإمامة، والخطابة، والنصيحة، وفي المجالس.

٢. **والعلم ميراث الأنبياء** – ونعم الإرث –. كما في حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**». (٣)

قال الشيخ الفوزان حفظه الله: "العلماء يقومون مقام الأنبياء في تعليم العلم وتبليغه للناس، فالواجب على الناس أن يقبلوا إرشاداتهم، وتعليماتهم". اهـ

---

(١) هو جزء من حديث أخرجه أبو داود في "سننه" (٣٦٤١) وغيره عن أبي الدرداء وحسنه العلامة الألباني رحمه الله.

(٢) في "منظومته" المشهورة.

(٣) هو الجزء الثاني من الحديث السابق ذكره آنفا.

٣. **والعلم يبقى بعد موت الإنسان**. كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «مسلم»: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ** – وذكر منها: – **أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ**». (١)

الإمام البخاري رحمه الله توفي في القرن الثالث (٢٥٦) ونحن الآن في نهاية القرن الرابع عشر، وإلى الآن وما زال يذكر في أرجاء معمورة بالخير ويُترحم عليه.

وهكذا مسلم، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والإمام أحمد وغيرهم من علماء الإسلام.

إن كان عندك كتاب ألفته، فإنه يبقى لك بعد موتك، أو كان عندك طلاب ربيتهم فإنهم ينشرون علمك وتنال أجر ذلك وأنت حتى في قبرك.

فهذا الشيخ مقبل رحمه الله كم خلف من الطلاب في داخل اليمن وفي خارجه يحملون عنه علمه.

٤. **العلم من مدعاة الغبطة**. كما قال النبي ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ أَتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ**». متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. (٢)

---

(١) مسلم (١٦٣١) بنحوه.

(٢) (خ/ ٧٣) و(م/ ٨١٦) بنحوه.

٥. **العلم نور**. كما قال الله ﷻ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال أهل العلم: "كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعلم".

فالعلم نور وحياة والجهل ظلمة وموت.

٦. **العلم سبب للخشية**. كما قال ﷻ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

٧. **وأهل العلم هم أصحاب الأفهام النيرة**. كما قال الله ﷻ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وقال ﷻ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا﴾ [النساء: ٨٣]. وقال ﷻ ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

❁ وقوله رحمه الله: (وبيان من تشبه بهم وليس منهم):

۞ **والتشبه على قسمين**: بمعنى التأسي بهم أي بالقيام بما يقومون به من اتباعهم والعمل كعملهم وبأخلاقهم، فهذا التشبه نافع وهو من باب قول القائل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكـــرام فــلاح

وأما إن كان التشبه بهم وهم من أولئك الذين يشاغبون الشغب فأخذوا هذا اللقب من العلماء وزهدوا الناس في العلماء وحاولوا يلبسوا لباس أهل العلم فحولوا إلى نفسه صفة العلم وصفة الفقه وهذا ينزل عليهم الحديث «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**». [1] وبنوا إسرائيل وقعوا في عدم العمل بعلمهم وهكذا في هذه الأمة من عندهم علم ولا يعمل بذلك إما أن يكون ملبساً أو متساهلاً.

۞ قال رحمه الله: (**ثم صار هذا غرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل**):

انعكست الموازين في نظر كثير من الناس اليوم، فإذا أقبل الشخص على العلم الشرعي قالوا: (ضيع نفسه ومستقبله).

(١) متفق عليه (خ/ ٥٢١٩) و(م/ ٢١٣٠) من حديث أسماء رضي الله عنها.

وتكثر استفساراتهم عند ذلك، فكيف بتتزوج؟، ومن أين ستأكل؟، ومن أين؟ ومن أين؟، وإن كان له أخ أو قريب على غير مساره، قالوا: (هذا أخوك، اللهم بارك، في كلية الطب له مستقبل، ويمكن يترقى حتى يصدر للخارج فيعود برفسور).

وهكذا هي نظرة كثير من الناس، وذلك لأنهم لم يدركوا قيمة العلم الشرعي، ولا فقهوا منزلة العلم الشرعي، والنبي ﷺ يقول: «**وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا**».

فهؤلاء يستغفرون لمعلم الناس الخير.

فقل لي – بربك –: أي علم يحصل له هذه المزية من العلوم الدنيوية؟!!

وحافظ القرآن يتوج والداه بتاج من نور فعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَيْهِ حُلَّتَانِ لَا يَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَا كُسِينَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ**» رواه الحاكم [1] وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» لشيخنا الألباني رحمه الله.

(٢) في "المستدرك" (٢٠٨٦).

بل طلب العلم الشرعي من أهله المعروفين بصحة المعتقد وسلامة المنهج من أعظم أسباب الرزق كما قاله شيخنا المحدّث الوادعي رحمه الله وهذا مأخوذ من حديث أنسٍ قَالَ: «كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ فَشَكا المحترف أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [1] وهو في «صحيح الجامع».

ونحن لا نحرم العلوم الدنيوية كما أسلفنا، ولكن الفضيلة والمزية هي للعلم الشرعي وأهله.

الناس محتاجون إلى العلم وإلى العلماء، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: "الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين وأما العلم فبعدد الأنفاس".

الله ﷻ خلق الخلق ليعبدوه، فأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع لما فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، فهو أعلم بعباده وبما يصلح عباده، فلو أن الناس انتهجوا هذا النهج، واكتفوا بالكتاب والسنة حصل لهم الخير العظيم، ولما حصل أي فساد.

(١) الترمذي (٢٣٤٥).

الآن في نظر الصوفية أن العبد الرباني هو من بلغ درجة أن يقول للشيء كن فيكون وهذا اعتقاد ضال ودعوة إلى الشرك في الربوبية والألوهية معاً فيختلف هذا اللفظ (العبد الرباني أو العالم الرباني) بين إطلاق المتصوفة وبين إطلاق العلماء والفقهاء له.

❁ قال رحمه الله: (**وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم**).

فالأمور انعكست عند بعض الناس، بسبب الابتعاد عن التفقه في الدين، فأصبح الجاهل هو العالم والعالم هو الجاهل ... إلخ، وهذا لا يصح فكل شيء له بابه، فالعالم عالم، والجاهل بحاجة إلى أن يتعلم ويتفقه في الدين.

فلو تفقه الناس لسلم لهم الأمر، ولكن والحمد لله الخير موجود، والناس بحاجة إلى أن يبين لهم وينصحون بالحكمة والموعظة الحسنة.

الأصل الخامس

❁ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله:

بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية من سورة آل عمران وهي قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية، وآية في سورة المائدة وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، وآية في يونس وهي قوله: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

ثم صار الأمر عند الله أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم ولا بد من ترك الجهاد فمن جاهد فليس منهم، ولا بد من ترك الإيمان والتقوى فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

الشـــرح

قال رحمه الله: (**بيان الله سبحانه لأولياء الله ...**) – مع الآيات الثلاث –:

للولاية علا متان:

١. **الإيمان**.

٢. **والتقوى**.

قال الله ﷻ ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "من كان مؤمناً تقياً كان لله وليا". اهـ[(١)]

فمن آمن بقلبه، واتقى بجوارحه فهو الولي الحقيقي.

قال الله ﷻ ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١]. هذه الآية سميت آية المحنة يمتحن بها الصادق من الكاذب.

فعلامة صدق محبة الله ﷻ: أن تتبع الرسول عليه الصلاة والسلام.

(١) انظر "الفتاوى الكبرى" (١/ ٢٠٦) و"مجموع الفتاوى" (٢/ ٢٢٤) و(٢٥/ ٣١٦).

أولياء الشيطان كثيرون قال الله ﷻ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وهم الذين يستمتعون بالشيطان ، ويستمتع بهم الشيطان قال الله ﷻ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

يجب على الإنسان أن يفرق بين الصادق والكاذب فيمن يدعي الولاية، وينظر إلى عمله، فهل هو متبع لهدي النبي ﷺ؟ أم غير متبع؟

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "أولياء الله هم الذين آمنوا به واتقوا واستقاموا على دينه وهم من وصفهم الله بقوله ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ١٦٢-١٦٣].

فليس كل من يدعي الولاية يكون ولياً وإلا كان كل واحد يدعيها، ولكن يوزن هذا المدعي للولاية بعمله، إن كان عمله مبنياً على الإيمان والتقوى، فإنه ولي، وإلا فليس بولي، وفي دعواه الولاية تزكية لنفسه، وذلك ينافي تقوى الله، فإن ادعى إنه من

أولياء الله فقد زكى نفسه [1] ، وحينئذٍ يكون واقعاً في معصية الله، وفيما نهاه عنه، وهذا ينافي التقوى، فأولياء الله لا يزكون أنفسهم بمثل هذه الشهادة، وإنما هم يؤمنون بالله ﷻ ويتقونه، ويقومون بطاعته ﷻ على الوجه الأكمل، ولا يغرون الناس ويخدعونهم بهذه الدعوى حتى يضلوهم عن سبيل الله، فهؤلاء الذين يدعون أنفسهم أحياناً سادة [2] ، وأحياناً أولياء لو تأمل الإنسان ما هم عليه لو جدهم أبعد ما يكونون عن الولاية والسيادة، فنصيحتي لإخواني المسلمين أن لا يغتروا بمدعي الولاية، حتى يقيسوا حاله بما جاء في النصوص في أوصاف أولياء الله". اهـ

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى علامة محبة الله وولايته بما ساقه من الآيات:

الآية الأولى: قوله تعالى في آل عمران: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]. وهذه الآية تسمى آية المحنة أي الامتحان حيث أدعى قوم محبة الله تعالى فأنزل الله هذه الآية فمن ادعى محبة الله تعالى نظرنا في عمله فإن كان متبعاً لرسول الله ﷺ فهو صادق وإلا فهو كاذب.

---

(١) والله ﷻ يقول ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾ [النجم: ٣٢].

(٢) وهؤلاء بعض «الصوفية» الخرافية، يطلقون عليهم في بعض القرى (سادة).

الآية الثانية: قوله تعالى في المائدة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤] الآيتين فوصفهم بأوصاف هي علامة المحبة وثمراتها:

* **الوصف الأول**: أنهم أذلة على المؤمنين فلا يحاربونهم ولا يقفون ضدهم ولا ينابذونهم.

* **الوصف الثاني**: أنهم أعزة على الكافرين أي أقوياء عليهم غالبون لهم.

* **الوصف الثالث**: أنهم يجاهدون في سبيل الله أي يبذلون الجهد في قتال أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا.

* **الوصف الرابع**: أنهم لا يخافون في الله لومة لائم. أي إذا لامهم أحد على ما قاموا به من دين الله لم يخافوا لومته، ولم يمنعهم ذلك من القيام بدين الله عز وجل.

الآية الثالثة: قوله تعالى في ﴿يونس﴾: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ١٦٢-١٦٣].

فبين الله تعالى أن أولياء الله تعالى هم الذين اتصفوا بهذين الوصفين: (الإيمان والتقوى) فالإيمان بالقلب، والتقوى بالجوارح، فمن ادعى الولاية ولم يتصف بهذين الوصفين فهو كاذب.

فيفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان بهذا، فمن كان متبعاً لهدي النبي ﷺ، مؤمناً بالله ﷻ، متقياً بجوارحه لله ﷻ، فهو ولي لله ﷻ، ومن كان على خلاف ذلك فهو من الكذبة". اهـ

❁ قال رحمه الله: **(ثم صار الأمر عند الله أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم ولا بد من ترك الجهاد فمن جاهد فليس منهم، ولا بد من ترك الإيمان والتقوى فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء)**:

وهذا كما هو الحاصل الآن، فيعتقد في أئمة الصوفية الولاية، وللشعراني [1] كتاباً سماه «طبقات الصوفية» وهو من أئمة الصوفية.

(١) قام خطيباً مرة وهو متجرد من الثياب، وهم يعتقدون فيه الولاية. وأحدث ذات مرة، وعين شخصاً بأنه هو من أحدث، وهم يعتقدون فيه الولاية.

وعند «الصوفية» الأولياء هم الزنادقة والفجرة – والعياذ بالله – كابن عربي، وابن فارض، وابن سبعين، ونحو هؤلاء من الزنادقة والملاحدة، وحتى من المعاصرين كابن حفيظ والجفري.

والولي عندهم من بلغ حد اليقين، فسقطت عنه التكاليف، ويستدلون بقوله ﷻ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. (١)

[قصة] ذكر شيخنا الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله لشيخه عبد الرحمن السعدي رحمه الله، أنه لما كان ببلاده الحبشة كان أحد مشايخ الطرق الصوفية يقول لهم لما تحضر الصلاة: قوموا صلوا أنا أصلي في مكة، فقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله للشيخ محمد أمان رحمه الله: أنتم ما عندكم عقول، أما تعلمون أن هناك فارق التوقيت بين مكة والحبشة، فقال الشيخ محمد: ما كنا نعلم بهذا.

وعند «الصوفية المكاشفة» (حدثني قلبي عن ربي)، يقولون: أنتم تقولون: حدثنا عبد الرزاق (٢)، أما نحن فنقول: حدثنا الرزاق.

(١) ومعنى اليقين: أي الموت.

(٢) عبد الرزاق بن همام الصنعاني الإمام صاحب "المصنف" (المتوفى: ٢١١هـ).

وعند «الصوفية» نظرية تطور الولي، فيتخيل أنه يكبر ويكبر حتى يخيل لنفسه أن المكان كله ممتلئ به وكاعتقاد الجفري أن الولي باستطاعته أن يخلق الجنين وهلم جرا من هذه الاعتقادات الكفرية عياذاً بالله.

جاء عن بعض السلف رحمه الله:

إذا رأيت شخصا قد يطير * وفوق ماء البحر قد يسير**

ولم يقف على حـدود الشرع * فإنه مستدرج وبدعــي**

بعض المفتونين بزيارة القبور، من كثرة تردده على القبور قد يسمعه الشيطان صوته، فيظن المغفل أنه المقبور، وهو الشيطان.

من طوام كتاب «تبليغي نصاب»: أن امرأة جاءت إلى قبر النبي ﷺ تشتكي أجراء كانوا يعملون عندها، فسمعت صوتاً من القبر، يقول لها: ألا تصبري، ألا يكون لي فيك قدوة، اصبري.

وفي هذا الكتاب أيضاً: أن رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! دعني أقبل يدك، فإذا باليد الشريفة تخرج من القبر أمام تسعة آلاف شخصاً ويقبلها.

وكتاب «تبليغي نصاب» يعتمد عليه الأعاجم من «جماعة التبليغ»، وعند العرب يعتمدون على أبواب من رياض الصالحين.

وأما الطريقة التيجانية فعندهم «صلاة الفاتح» المنسوب إلى مؤسسها أحمد التيجاني وهي عبارة عن سطرين، ويزعمون أن من قرأها مرة، فكأنما قرأ القرآن ستة آلاف مرة وقيل ستمائة ألف مرة وكل مرة من هذه المرات تعدل أربعمائة غزوة مع رسول الله ﷺ وكل غزوة من هذه الغزوات لك فيها ألف زوجة من الحور العين كما في كتاب «جواهر المعاني» وبهامشة «رماح حزب الرحيم في صدور حزب الرجيم» فهي أفضل من قرآءة القرآن لأن الشيخ سمعها من الله مباشرة أما القرآن فسمعه الرسول ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام ونص «صلاة الفاتح» هي "اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق والخاتم لما سبق، الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم".

قلت: أعوذ بالله من الزندقة هذه، وكل هذا ينسب للدين والدين منه براء.

فالشيطان كما أنه يأتي للطالح، فكذلك يأتي للصالح وهؤلاء ضحك عليهم الشيطان حتى أوقعهم في شراكه وحباله عياذا بالله باسم الدين فمثل أحمد التيجاني وأضرابه هم بلا شك من أولياء الشيطان يدل على ذلك أقوالهم وأفعالهم.

فيجب على المسلم أن يفرق بين ولي الشيطان – من سحرة ودجالين ومشعوذين [١] – وبين ولي الرحمن [٢] ، وأولياء الرحمن عندهم من الكرامات، وإليك قصة أويس القرني رحمه الله وهو من التابعين، وقد أدرك زمن النبي ﷺ، ولكنه لم يره، وهذه قصته.

روى مسلم في «صحيحه» عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: «أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟» حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: «أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟» قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «لَكَ وَالِدَةٌ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ**

---

(١) السحر على قسمين:

١. **سحر حقيقي**. وهو الذي يمرض، ويقتل، ويفرق.

٢. **سحر تخيلي**. كما في قوله ﷻ ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦]. ومنه سحر النبي ﷺ الذي سحره لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة، فكان يخيل إليه أنه ﷺ يفعل الشيء ولا يفعله حتى عافاه الله، والقصة في الصحيح.

والألعاب «البهلوانية» – خفة اليد –، من سحر التخييل.

(٢) وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابه المشهور "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان".

وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي». فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «أَيْنَ تُرِيدُ؟» قَالَ: الْكُوفَةَ. قَالَ: «أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟» قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ.[1]

فهذه كرامة لهذا التابعي الجليل.

[فائدة] نقل الشيخ ابن عثيمين في شرحه على «الأصول الستة» كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ولا بأس بنقله للفائدة، قال رحمه الله: ويحسن بنا أن ننقل هنا ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ونسوق ما تيسر منها، قال رحمه الله:

"وقد بين ﷻ في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس، وللشيطان أولياء، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ

(١) رواه مسلم (٢٥٤٢).

لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]. وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠]. فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون... وهم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأعطوا من يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع، فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به، واتبعه باطناً وظاهراً، ومن ادعى محبة الله ولايته وهو لم يتبعه أي الرسول فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق.

وأولياء الله على طبقتين:

- سابقون مقربون.
- وأصحاب يمين مقتصدون.

ذكرهم الله ﷻ في عدة مواضع من كتابه العزيز في أول سورة الواقعة وآخرها، وفي الإنسان، والمطففين، وفي سورة فاطر... والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

فمن لم يتقرب إلى الله لا يفعل الحسنات ولا يترك السيئات لم يكن من أولياء الله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله لا سيما أن تكون محجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع من تصرف... فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله وإن لم يعلم منه ما ينقض ولاية الله، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله؟ مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب أتباع النبي ﷺ باطناً وظاهراً، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقاً إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم السلام فعلى هذا، فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لأحد أن يقول هذا ولي الله... وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات...

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين... ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله لئلا يكون

نبياً... بل يجب أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف؟ توقف فيه.

۞ **والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف طرفان ووسط**:

١. **فمنهم**: من إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حدث به قلبه عن ربه وسلم إليه جميع ما يفعله.

٢. **ومنهم**: من إذا رآه قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً.

٣. **وخيار الأمور أوساطها**: هو ألا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً، فلا يُتبع في كل ما يقوله، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده، والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله...

وقد أتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فالأنبياء صلوات الله عليه وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة

وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردودا، وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله، له أجر على اجتهاده، لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما أستطاع...

وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير الاعتبار بالكتاب والسنة، مما أتفق عليه أولياء الله عز وجل ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله ﷻ الذين أمر الله باتباعهم، بل إما أن يكون كافرًا، وإما أن يكون مفرطاً في الجهل...

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي الله، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يفعله وإن خالف الكتاب والسنة فيوافق ذلك له، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه – أي الرسول ﷺ – كان من أولياء الله المتقين وجنده والمفلحين وعباده الصالحين، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين فتجره مخالفة الرسول ﷺ وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال، وآخراً إلى الكفر والنفاق... وتجد كثيراً من

هؤلاء عمدتهم في اعتقاده كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة... وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه...

وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة...

وقد أتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم "بأربع مراتب" فقال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩]...

ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك، وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ...

ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها لضعف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوى إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة. بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة. اهـ

فالخلاصة: الكرامات موجودة في أولياء الله، وأولياء الله يعرفون بصفاتهم، وأفعالهم، وأحوالهم التي توافق الكتاب والسنة، ولا يشترط فيمن جاءته الكرامة أن يكون أفضل من الآخر، ومن كانت لديه ولاية فلا يجوز له أن يمدح نفسه، وأما أولياء الشيطان فإنهم يستعينون بالجن، لتحقيق أمورهم، وفي إنجاز مآربهم، وبعض الناس يغتر بهم، فيظن أنه ولي وهو ليس بولي، فلا بد من التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

الأصل السادس

❁ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله:

رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق، وإما مجنون لأجل صعوبة فهمهما فسبحان الله وبحمده كم بين الله سبحانه شرعاً وقدراً، خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا فَهِيَ إِلَى الأذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧-١١].

آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

الشـــرح

قال رحمه الله: (**رد الشبهة ... – مع الآية –**):

وهذه شبهة كما ذكرها الشيخ ملعونة، وخبيثة، وهي كيف يتوصلون ويقنعون الناس بترك فهم الكتاب والسنة بحجة: أن الكتاب والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، وهذا المجتهد له صفات، ويذكرون صفات لعلها لا تتوفر في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والنتيجة: أنه لعدم وجود هذا المجتهد فالواجب هو الإعراض وترك الكتاب والسنة، ورمي من اشتغل بهما بعد ذلك فهو إما زنديق أو مجنون.

انظروا إلى هذا الضلال.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في بيان معنى «الاجتهاد» وشروطه:

الاجتهاد لغة: بذل الجهد لإدراك أمر شاق.

واصطلاحاً: بذل الجهد لإدراك حكم شرعي.

والاجتهاد له شروط منها:

١. أن يعلم من الأدلة الشرعية ما يحتاج إليه في اجتهاده كآيات الأحكام [١] وأحاديثها.

٢. أن يعرف ما يتعلق بصحة الحديث وضعفه كمعرفة الإسناد ورجاله وغير ذلك. [٢]

٣. أن يعرف الناسخ والمنسوخ ومواقع الإجماع حتى لا يحكم بمنسوخ أو مخالف للإجماع. [٣]

٤. أن يعرف من الأدلة ما يختلف به الحكم من تخصيص أو تقييد أو نحوه حتى لا يحكم بما يخالف ذلك.

٥. أن يعرف من اللغة وأصول الفقه ما يتعلق بدلالات الألفاظ كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين ونحو ذلك ليحكم بما تقتضيه تلك الدلالات.

٦. أن يكون عنده قدرة يتمكن بها من استنباط الأحكام من أدلتها [٤] . اهـ

---

(١) نصوص الطهارة والوضوء، والصلاة ...إلخ.

(٢) علم بمصطلح الحديث.

(٣) فقد يبني حكماً وهذا الحكم مبني على دليل لكنه منسوخ، أو مخالف للإجماع، وما بني على منسوخ فهو منسوخ.

(٤) يكون عنده فهم وإدراك.

فهذه شروط يمكن تحققها في فئة من الناس، وأما شروط أولئك الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن الكتاب والسنة، فيأتون بأشياء خيالية تعجيزية.

تكملة لكلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "والاجتهاد يتجزأ فيكون في باب واحد من أبواب العلم، أو في مسألة من مسائلة". اهـ

فقد يبحث الشخص مسألة من المسائل الفقهية، ويعبر مجتهداً فيها.

ثم قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: والمهم أن المجتهد يلزمه أن يبذل جهده في معرفة الحق ثم يحكم بما يظهر له فإن أصاب فله أجران: أجر على اجتهاده وأجر على إصابة الحق؛ لأن في إصابة الحق إظهاراً له وعملاً به، وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور له لقوله تعالى: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**» (١) ". اهـ

وهذا يشمل كلا نوعي الاجتهاد، المطلق، والجزئي، إن أصاب فله أجران:

١. **أجر الاجتهاد.**

٢. **أجر إصابة الحق.**

(١) متفق عليه (خ/ ٧٣٥٢) و(م/ ١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص ﷺ.

وإن أخطأ فله أجر واحد:

١. **أجر الاجتهاد.**

وخطئه مغفور له لأنه قد بذل وسعه في معرفة الحق.

ثم قال ﷺ: "وإن لم يظهر له الحكم وجب عليه التوقف وجاز التقليد حينئذ للضرورة". اهـ

التقليد الأصل فيه مذموم وهو: (تقليد من ليس بحجة بلا حجة) لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن التقليد بمنزلة أكل الميتة فإذا استطاع أن يستخرج الدليل بنفسه فلا يحل له التقليد". اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله في «النونية»:

العلم معرفة الهدى بدليله * ما ذاك والتقليد يستويان**

والتقليد يكون في موضعين:

- **الأول**: أن يكون المقلد عامياً لا يستطيع معرفة الحكم بنفسه ففرضه التقليد لقوله تعالى ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣]. ويقلد أفضل من يجده علماً وورعاً، فإن تساوى عنده اثنان خير بينهما.
- **الثاني**: أن يقع للمجتهد حادثة تقتضي الفورية ولا يتمكن من النظر فيها فيجوز له التقليد حينئذ". اهـ
- **وهناك نوع ثالث**: وهو إذا بذل وسعه في مسألة، وما ظهر له الأمر، فيقلد العالم الفلاني الذي ظهر له الأمر.

ثم قال رحمه الله: والتقليد نوعان: (عام وخاص).

فالعام: أن يلتزم مذهبا معيناً يأخذ برخصه وعزائمه في جميع أمور دينه، وقد اختلف العلماء فيه:

فمنهم من حكى تحريمه لما فيه من الالتزام المطلق لاتباع غير النبي ﷺ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "إن في القول بوجوب طاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم في كل أمره ونهيه هو خلاف الاجماع وجوازه فيه ما فيه". اهـ

اتباع مذهب معين لا يخرج عنه قيد أنملة مذموم.

ثم قال رحمه الله: (**والخاص**): أن يأخذ بقول معين في قضية معينة فهذا جائز إذا عجز عن معرفة الحق سواء الاجتهاد سواء عجز عجزاً حقيقياً، أو استطاع ذلك مع المشقة العظيمة". اهـ

وهذا يقع من العلماء.

وبذلك نكون قد انتهينا من هذه الرسالة الطيبة النافعة، والحمد لله.

الفهرس

ترجمة مختصرة للمؤلف رحمه الله: ٣

الأصل الأول: ٢٢

الأصل الثاني: ٤٤

الأصل الثالث: ٥٨

الأصل الرابع: ٧٨

الأصل الخامس: ٧٩

الأصل السادس: ٩٦

الفهارس: ١٠٣